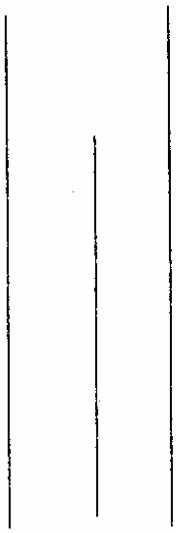

قِصَّةُ دِرَاستي القُرآنيّة

www.abulhasanalinadwi.org

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

1426 هـ ـ 2005 م

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع
والتصوير و النقل و الترجمة و التسجيل المرئي و المسموع
و الحاسوبي و غيرها من الحقوق إلا بإذن خطي من

دار ابن كثير

للطباعة و النشر و التوزيع

دمشق ـ بيروت

الرقم الدولي :

الموضوع : ثقافة إسلامية

العنوان : قصة دراستي القرآنية

التأليف : الشيخ أبو الحسن الندوي

الترجمة : محمد نعمان الندوي

نوع الورق : أبيض

ألوان الطباعة : لون واحد

عدد الصفحات : 28

القياس : 14×20

نوع التجليد : غلاف

الوزن : 0.2 كغ

التنفيذ الطباعي : مطبعة علي جواد

التجليد : مؤسسة الشرق الأوسط للتجليد

دار ابن كثير

دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا ـ بناء الجابي

ص.ب : 311 ـ هاتف : 2225877 ـ 2228450 ـ فاكس : 2243502

بيروت ـ برج أبي حيدر ـ خلف دبوس الأصلي ـ بناء الحديقة

ص.ب : 113/6318 ـ تلفاكس : 01/817857 – جوال : 03/204459

www.ibn-katheer.com - info@ibn-katheer.com

www.abulhasanalinadwi.org

قصة دراستي القرآنية

للداعية الحكيم، المفكر الإسلامي الكبير

العلامة سيد أبي الحسن علي الحسني الندوي

(١٣٣٣ - ١٤٢٠هـ)
(١٩١٤ - ١٩٩٩م)

نقلها للعربية

محمد نعمان الدين الندوي

عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية

اعتنى بها

سيد عبد الماجد الغوري

دار ابن كثير

دمشق - بيروت

www.abulhasanalinadwi.org

كلمةُ المُترجِم

يسعد مجلَّة : « الصحوة الإسلامية[1] أن تنفرد بتقديم هذا البحث القرآنيّ الفذِّ ـ الذي دَّبجه يراعُ العلامة الشيخ السيد أبي الحسن الندوي ـ رحمه الله ـ لأول مرّةٍ إلى الإخوة العرب الأفاضل بصفةٍ عامةٍ ، وأصحابِ الذوق القرآني منهم بصفةٍ خاصةٍ .

إنَّ هذا البحثَ ـ الذي مضى على صدوره ما يقرب من نصف قرنٍ ، حيث كان نُشِر سنة ١٩٥٦م في العدد الخاص بالقرآن الكريم من مجلة : « صُبْحِ صادق » الأردية الشهرية ، التي كانت تصدر في مدينة لاهور (الباكستان) ، يحمل البحثُ إشاراتٍ ، ويُنير جوانب ، ويُرشد إلى معالم ومناراتٍ تُضيء الطريقَ للمشتغلين بالتفسير ، وتسهِّل مهمتهم وتساعدهم في تحقيق مقصدهم العظيم .

والحقيقة أنَّ البحث جديرٌ كل الجدارة بأن يجعله المتخصِّصون في الموضوع نِبراساً لهم ومشعلاً ، يُواصِلون

---

(١) مجلَّةٌ فصليةٌ يُصدِرها قسمُ اللغة العربية وآدابها بدار العلوم ـ حَيْدَرْآباد ، وهي إحدى كبرى المجلات الإسلامية التي تصدر في الهند .

www.abulhasanalinadwi.org

رحلتَهم القرآنية مستنيرين بما احتواه ـ البحث ـ من توجيهاتٍ ولفتاتٍ وتجارب لرجلٍ قرآنيٍّ عاش ـ مدَّة حياته ـ للقرآن وبالقرآن .

وجزى الله أخانا الفاضل الكريم الأستاذ سعيد مرتضى الندوي ـ المدرِّس بكلية التربية للبنات ، الرياض ـ الذي أشعرنا بقيمة البحث وضرورة تعريبه ، لكي ينتفع به إخوانُنا العرب الكرام ، الذين يحرصون ـ دائماً ـ غايةَ الحرص على قراءة كل ما أثرى به العلامةُ الندوي المكتبةَ الإسلامية بلغاتها المختلفة ، فللأستاذ سعيد الندوي ، والأخ سيد عبد الماجد الغَوْري ـ الذي اعتنى بالبحث ضبطاً وتعليقاً ـ شكرنا وتقديرنا ، والجزاء الأوفر من الربِّ الشكور !

حيدر آباد ٢٤/ ذو الحجة ١٤٢٣هـ **رئيس التحرير**

محمد نعمان الدين الندوي

www.abulhasanalinadwi.org

قِصَّة دراستي القرآنيّة

قرأتُ القرآنَ الكريم في الصِّبا حسب التقليد السائد الذي ظلَّ متوارثاً في البيوتات والأُسَر المسلمة لحدِّ الآن ، وكنتُ أتلو القرآنَ الكريم بعد أن أكملتُ قراءتَه قراءةً جيّدةً ناضجةً ، ولكن ـ للأسف ـ لم أستطع المواظبةَ على التلاوة رغم تأكيد الكبار وحثِّهم على ذلك .

ولمَّا بدأتْ مرحلةُ دراستي العربية ، وحصل لي حظٌّ ضئيلٌ وقدرٌ يسيرٌ من الإلمام باللغة العربية أخذتُ أفهم الآياتِ القرآنية فهماً قليلاً ، وإنَّ أستاذي فضيلة الشيخ خليل بن محمد[1] يحظى بذوقٍ قرآنيٍّ طاهرٍ رفيعٍ ، وله

---

(١) هو الشيخ خليل بن محمَّد بن حسين بن مُحسِن الأنصاري اليَمَني ، هنديُّ المولد ، يمنيُّ الأصل ، كان من نوادر المعلِّمين الذين يطبعون تلاميذهم النجباء بطابعهم ، وينقلون إليهم التذوُّقَ بالنثر البليغ والشعر الرقيق ، واستطعامهما والتلذُّذَ بهما ، كان رقيقَ الذوق ، كريم الأخلاق ، له قَدَمٌ راسخة في اللغة العربية وعلوم البلاغة ، تخرَّج عليه عددٌ وجيهٌ من العلماء الذين لهم خدماتٌ جليلة=

www.abulhasanalinadwi.org

بـه ـ بكتـاب الله ـ شغـفٌ زائـدٌ عظيـمٌ ، وكـان كثيـراً مـا يصلِّـي بـالنـاس الفجـرَ آنـذاك فـي مسجـد حيِّنـا ، وينتمي نسباً إلى تلك القبيلة العربية الكريمة التي رحَّبَ الرسولُ ﷺ بوفدٍ لها قائلاً : « أتاكم أهلُ اليَمَن ، أرَقُّ أفئدةً ، وألْيَنُ قلوباً »[1] ، ولقد رزقه الله من الرِّقَّة والخشوع والتأثُّر حظّاً وافراً ونصيباً عظيماً ، فلا يتمالك نفسَه وهو يتلو القرآن الكريم فتفيَّض عيناه دموعاً ويتأثَّر صوته بكاءً وخشوعاً ، وهو ممتلىءٌ عطفاً ورحمةً وشفقةً ومواساةً لخلق الله أجمعين ، وأُعطِي صوتاً شَجِيّاً حزيناً ، ولحناً مؤثِّراً مرقِّقاً ، وأذكر جيّداً أنه كان يقرأ في صلاة الفجر إحدى السُّوَر الكبيرة من الأجزاء الأخيرة للقرآن الكريم ، ولكن قلَّمـا كان يُكمِلهـا لشدَّة التأثُّر وغلبة البكاء عليه ، ويبقى السامعون ـ المصلُّون خلفه ـ في

= في نشر اللغة العربية وآدابها في شبه القارة الهندية ، ومنهم العلامة أبو الحسن الندوي ، توفِّي ـ رحمه الله ـ بكراتشي عام ١٣٨٦هـ (انظر ترجمته بقلم العلامة الندوي في كتاب « من أعلام االمسلمين ومشاهيرهم » ص : ٢٨١ ، طبع دار ابن كثير بدمشق) .

(١) أخرجه البخاري في كتاب المغازي ، باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن ، برقم (٤٣٨٨) ، ومسلم في كتاب الإيمان ، باب تفاضل أهل الإيمان فيه . . . ، برقم (٥٢) وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه .

www.abulhasanalinadwi.org

الحسرة على أنهم لم يتمتَّعوا بسماع السُّورة كاملاً .

لقد بدأتُ دراستي القرآنية ـ أيضاً ـ على الشيخ خليل نفسه ، وكان التوحيد يملك عليه قلبه وعاطفته وشعوره ، فكانت عقيدتُه ـ ولا أزكِّي على الله أحداً ـ صارمةً صافيةً نقيةً خالصةً لا غبارَ عليها ، وكان يحرص على أن يجعل تلاميذه ـ أيضاً ـ يعتقدون مثلَه ، ويحملون عقيدتَه ، وكانت سورةُ الزُّمَر « التي تتميَّزُ بالدعوة إلى التوحيد في قوَّةٍ وصراحةٍ كبيرتَين » من السُّور المختارة الحبيبة إليه الأثيرة لديه .

ولمَّا صِرْنا نشدو من العربية ، وتقدَّمنا فيها ـ قليلاً ـ تعلُّماً وفهماً ، بدأ الشيخُ تدريس هذه السورة ، ثم درَّسَ سورة « المؤمن » و« الشُّورى » ، وكان له شغفٌ خاصٌّ بآيات قرآنية معيَّنة يقرأها في حماسٍ ومتعةٍ ولذَّةٍ ، منها الآيات الأخيرة من سورة « آل عمران » ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عمران : ١٩٠] . التي وَرَدَ عنها في الروايات الصحيحة أنَّ رسول الله ﷺ كان إذا قام في الهَزِيْع الأخير من الليل للتهجُّدِ بدأ بقراءتها ـ أواخر آل عمران ـ صلواته[1] ،

---

(١) ومن الآثار في فضائل سورة آل عمران:
عن عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: « من قرأ آخرَ =

www.abulhasanalinadwi.org

وكذلك أواخر سورة الفرقان : ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾ [الفرقان : ٦٣] .

أذكرُ هذه الآياتِ الكريمة ـ الحبيبة إلى الشيخ ـ بصفةٍ خاصةٍ ، وكأنَّ صَدَى لحن الشيخ المؤثِّر المرقِّق الشَّجِيِّ لا يزال يرِنُّ في الآذان ، وصارت هذه الآياتُ تَرُوقنا وتُعجِبنا نحن لمَّا سمعناها من الشيخ مرَّاتٍ وكرَّاتٍ ، وهكذا نشأتْ صلةٌ ذوقيةٌ بالقرآن الكريم .

ولمَّا تقدَّمنا تقدُّماً ملحوظاً في دراسة اللغة العربية ، بدأنا نجد لذَّةً ومتعةً في تلاوة القرآن الكريم ، وكانت حدَثَتْ يومئذٍ في أُسْرَتِنا أحداثٌ ، وألَمَّتْ بها خطوبٌ كانت ـ في حدِّ ذاتها ـ تفسيراً عفوياً ـ إذا صحَّ هذا التعبيرُ ـ للكثير من الآيات القرآنية .

وكان يتراءى بوضوحٍ أنَّ نظام المجازاة الإلٰهيِّ نظامٌ

= آل عمران في ليلةٍ كُتب له قيامُ الليل » أخرجه الدارمي في كتاب فضائل القرآن ، باب في فضل آل عمران ، برقم (٣٢٧٣) .
وعن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال : « كنز الصَّعلوك سورة آل عمران ، يقوم بها في آخر الليل » أخرجه عبد الرزاق في المصنَّف (٣/ ٣٧٥) برقم (٦٠١٥) ، والدارمي في كتاب فضائل القرآن ، باب فضل آل عمران ، برقم (٣٢٧٥) .

www.abulhasanalinadwi.org

كونيٌّ شاملٌ متكاملٌ ، وأنَّ لسيرة الأمم والجماعات وسلوكها أثراً كبيراً في عروجها وانحطاطها ، وفي إقبالها وإدبارها ، وأنَّ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد : ١١] . حقيقةٌ أبديةٌ ، وزِدْنا إيماناً على إيمانٍ بأنَّ هذا الكتابَ كتابٌ حيٌّ خالدٌ ، إنَّه لا يعرض إلا لأحداث الأحياء وقِصَصهم ، وإنه مرآةٌ للحياة ، يستطيع كلُّ شخصٍ أن يرى فيها صورتَه ، ويبحث فيها عن نفسه وحقيقته .

وإنَّ الآية : ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ﴾ [الأنبياء : ١٠] قد فُسِّرت تفسيراتٍ مختلفةً ، منها : « فيه حديثكم » ، ولقد سمع التابعيُّ الجليل أَحْنَفْ بن قَيْس[1] ذاتَ يوم هذه الآيةَ ، فطلب المصحفَ قائلاً : « أرى فيه نفسي بأيِّ كلمات ذُكِرْتُ فيه » ، وبعد أنْ قلَبَ صفحاتٍ ،

---

(١) هو الأحْنَف بن قَيْس بن معاوية بن حُصين التَّمِيْمي السَّعْدِي ، أحد العظماء الدهاة الفصحاء الشجعان الفاتحين ، يُضرَب به المثلُ في الحِلْم ، أدرك النبيَّ ﷺ ، ولم يره ، ويُروى بسندٍ ليِّنٍ أن النبيَّ ﷺ دعا له . قال الحسن البصري : « ما رأيتُ شريفَ قومٍ أفضلَ من الأحْنَف » أخبارُه كثيرة جداً ، وخُطبه وكلماته متفرِّقةٌ في كُتب التاريخ والأدب والبلدان ، توفِّي بالكوفة عام ٧٢هـ (انظر ترجمتُه في « تهذيب التهذيب » (١/ ٩٩) و« تاريخ الإسلام » للذهبي (٣/ ١٢٩) و« وفيات الأعيان » (١/ ٢٣٠) .

www.abulhasanalinadwi.org

ونظر في آياتٍ ، وقف عند آية وقال : لقد وَجَدتُ ذِكْرِي ، وكانت الآية : ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة : ١٠٢] .

وهذا الذي كنتُ أراه بوضوحٍ من أنَّ هذا الكتاب العجيب العظيم يتضَمَّنُ ذكرَ الأمم والأُسَر والأفراد ، وبيانَ أسبابِ نهضتها وتخلُّفِها وتقدُّمِها وتأخُّرِها ، ولقصر همَّتِي وقلَّةِ حظِّي من العلم ، وضآلة بضاعتي فيه لم يكن لي بصرٌ بتأريخ الأمم ، وكانت مساحةُ اطلاعي ودراستي قاصرةً محدودةً ، فكانت تتجلَّى لي صداقةُ القرآن ـ أروع ما يكون الجلاءُ والوضوحُ ـ في إطار أسرتي ومعارفي ، فهذا الاكتشافُ أدَّى إلى تقويةِ اتصالي بالقرآن الكريم ، ورغبتي فيه وإقبالي عليه ، وكنتُ أستمتع ـ آنذاك ـ بتلاوة سورة « المائدة » و« الأنعام » و« الأعراف » بنوعٍ خاصٍّ .

وإنَّها ـ حقّاً ـ مصادفةٌ رائعةٌ عجيبةٌ قدِّرتْ لدراستي ، على أنِّي لا أسمِّي ذلك مصادفةً ، بل تأييداً إلٰهياً وفضلاً ربَّانياً حظيتُ به ، وهو أنِّي تعلَّمتُ كلَّ فنٍّ بمفرده دُون إشراكٍ معه فنّاً آخر ، فما درستُ المنهجَ الدراسي المشترَك المختلط بأنواعٍ من العلوم والفنون ، فإنَّ

www.abulhasanalinadwi.org

أستاذي الجليل ـ صاحب النظر العميق والذوق الحميد ـ الشيخ خليل قام بتدريسي الأدب العربي ، فقد ظللتُ أدرِّسُ ثلاثَ سنوات كاملة مادةَ الأدب من « المطالعة العربية »[1] إلى « نهج البلاغة » ، و« الحماسة » و« دلائل الإعجاز » وما إلى ذلك ، فأسفرت مصاحبةُ الأستاذ ذي الذوق الصحيح ، والمعايشة للأدب العربي مُصبِحاً ومُمسِياً عن أُنسٍ وكِلْفٍ خاصَّين باللغة العربية ، جعلاني أشعر بحلاوتها ولذَّتِها ، ولم تعد هناك حاجةٌ ـ بالنسبة لي ـ إلى تدليلٍ على الشعور بدقَّةِ كلامٍ دقيقٍ ، وروعةِ تعبيرٍ رائعٍ ، فبدأتُ أشعر ـ وجدانياً وذوقياً ـ بالإعجاز القرآني ، وغدا ذلك ـ الإعجاز ـ حقيقةً بدهيةً غير محتاجةٍ إلى دليلٍ آخر ، أو شهادةٍ خارجيةٍ البتة ، إنَّ كلَّ نقطةٍ من نُقَاط القرآن الكريم صارخةٌ ناطقةٌ بأنها كلام الله ، ولا يستطيع أن يؤثِّر على ذلك الإيمان واليقين شكٌّ

---

(١) هذا الكتابُ أعدَّته وزارةُ التعليم المصرية باسم « المطالعة المصرية » وجاء به أحدُ الأساتذة للغة العربية ونشره في الهند باسم « المطالعة العربية » وكان قد أُلِّف على طريقة المقرَّرات الابتدائية الجديدة ، وكانت دُروسُها تُلائم ذوقَ الأطفال وسِنَّهم وبيئتهم ، ولكنَّها كانت متجرِّدةً عن الطابع الديني ، وقد استغنى الطلابُ الهنود عنه وعن أمثاله بعد أنْ ألَّفَ لهم العلامةُ الندوي كتباً في لغةٍ سهلةٍ ، وأسلوبٍ شيِّقٍ ، كـ « قصص النبيين » و« القراءة الراشدة » .

www.abulhasanalinadwi.org

أو إنكارُ العالم بأجمعه ، والفضل في تكوين الذوق الصحيح للقرآن الكريم وفيما ظهَرَ لي من تميُّزِه بالانفرادية والطرافة والجِدَّة والخصوصية البيانية مقارنةً بالثروة الأدبية عامةً لا يرجع إلى الاشتغال باللغة العربية وآدابها ، بل سأظلُّ مديناً في هذا الفضل مدى الحياة لأستاذي الكريم وأخي[1] المربِّي العطوف .

إنَّني أرى أنَّ الطريقة التي تسلكها المدارسُ العربيةُ بخصوص تعليم اللغة العربية والأدب العربي لن تُثمِرَ هذه الثمرةَ . . إنَّ كُتُبَ المنهج الدراسي القديم العقيم التي لا روحَ فيها ولا حياةَ ، ولا نضارةَ ولا بهاءَ ، أو كُتبَ المعاني والبيان التي أُلِّفت في عصور الانحطاط للغة العربية والتي كان مؤلِّفوها ـ أنفسهم ـ ضحايا العجميَّة ،

---

(١) هو الدكتور السيِّد عبد العلي الحسني ، كان طبيباً حاذقاً ، وعالماً تقياً ، وعَلَماً من أعلام الأمة الإسلامية ، ونادرةً من نوادر الأيام في الجمع بين الثقافتين الشرقية والغربية ، ومحاسن القديم والجديد ، كان شديدَ العناية بنشر تعليم اللغة العربية وآدابها في الهند ، وكان له جهدٌ مكثَّفٌ ، وسعيٌ مشكورٌ في تغيير منهاج دراستها في دار العلوم ـ ندوة العلماء . انتُخب رئيساً لدار العلوم عام ١٩٣١م وما دام على هذا المنصب حتى وافاه الأجل المحتوم عام ١٣٨٠هـ ، وإليه يرجع الفضلُ في تربية العلامة الندوي ثم في تكوين شخصيته (انظر ما كتبه العلامةُ عنه في « شخصيات وكتب » ص : ٦٣ ، طبع دار القلم بدمشق) .

www.abulhasanalinadwi.org

إنَّ هذه الكتب والمؤلَّفات لقاصرةٌ كل القصور عن تكوين الذوق الصحيح للعربية ، وإحداث الشعور بحلاوتها والتمتُّع بلَذَّتها ، فإنَّ فهم إعجاز القرآن وبلاغته ولطائفه ودقائقه على أساس هذه الكتب أو بالاستناد إلى دلائل البلاغة والبيان غيرُ ممكنٍ تقريباً ، وإذا وُجد هناك استثناءٌ فلا يُعَدُّ ذلك إلا من الخوارق للعادة ، والشَّاذ كالمعدوم .

كان مِن حُسْن حظِّي أنِّي بعد ما أكملتُ منهجَ الأدب ـ الذي ابتكره ووضعه الشيخُ خليل ـ سعدتُ بصحبة العلامة الشيخ تقي الدين الهلالي المُرَّاكشي الذي كان من الأعلام الأفذاذ في العربية والنحو في العصر الحاضر ، والذي يستحقُّ أن يُسَمَّى « إمام الفنِّ بحقٍّ وجدارةٍ »[1] .

---

(١) هو العلامة البحَّاثة : الدكتور تقي الدين الهِلالي المُرَّاكشي ، كان من كبار علماء اللغة العربية في هذا العصر ، وأصحاب التحقيق والإتقان في صحة الكلمات العربية ، وأصالتها وقواعد اللغة من صرفٍ ونحوٍ ، واشتقاقٍ وبلاغةٍ ، ومِن أقوى الناس إنكاراً على التعبيرات المستحدثة المنقولة من اللغات الأجنبية . وُلِد بسِجِلْمَاسَة في المغرب . سافر إلى الهند وقرأ الحديث على كبار محدِّثيها يومئذٍ ، وتخرَّجَ عليه عددٌ كبير من علماء الهند ، ومنهم العلامة الندوي ، توفِّي ـ رحمه الله ـ بالدار البيضاء (في المغرب) عام ١٤٠٧هـ (١٩٨٧م) .

www.abulhasanalinadwi.org

وبعد الأدب درَستُ شيئاً من الفقه ، ثم حضرتُ درسَ الحديث الشريف للعلامة الشيخ حيدر حسين الطُّوْنَكي[1] بـ« ندوة العلماء »، وأكملتُ منهجَه في عامَين.

كما قرأتُ ـ في نفس الفترة ـ أجزاءَ من « التفسير البَيْضاوي » على الشيخ ـ نفسه ـ الذي كان من كبار مدرِّسي المنهج النِّظامي[2] الفضلاء البارعين ، أصحاب الخبرة الطويلة بالتدريس ، ثم توجَّهتُ إلى لَاهُور ، وحضرتُ هناك ـ مدَّةً لا بأسَ بها ـ درسَ الشيخ أحمد

---

(١) كان مِن كبار العلماء الربَّانيين ، والمعلِّمين المربِّيين ، وكان له مشاركةٌ جيدةٌ في الفقه والأصول والكلام والحديث ، وكان منهجُه في تدريس الحديث منهجاً علمياً ، هو أشبه بمنهج المحدِّثين منه بمنهج الفقهاء ، درَسَ عليه العلامةُ الندوي كُتبَ الحديث الأربعة (غير سُنَن النَّسائي وابن ماجه) ، توفِّي ـ رحمه الله ـ بلَكْنو عام ١٣٦١هـ .

(٢) هو منهجٌ ينتمي إلى العلامة نِظام الدين الأنصاري الفِرَنْكِي مَحِلِّي ـ و« فِرَنْجِي مَحَلْ » حيٌّ معروفٌ قديمٌ في لَكْنو ، نبغ فيه علماء كثيرون ، وهو كحيِّ « الميدان » في دمشق ، و« الأعظمية » في بغداد ـ (المتوفَّى سنة ١١٦١هـ) يلتزم تدريسَ الفلسفة والمنطق ، وأصول الفقه وعلم الكلام ، ويُعنى به عناية خاصة ، هذا مع عنايةٍ زائدةٍ في دار العلوم دِيُوبَنْد الإسلامية بتدريس الحديث الشريف وعلومه مع أدبٍ واحترامٍ ، ودراسةٍ مقارنةٍ ، ومحاكمةٍ استدلاليةٍ ، وإثبات المذهب الحنفي وترجيحه .

www.abulhasanalinadwi.org

اللاَّهُوْرِي[1] ، وكان يغلِب على منهج تفسيره النزعةُ السياسية ، واتجاهُ الاستنباط السياسي ، إنَّ هذا المنهج التفسيري وإن لم يقع مني موقعَ كثيرِ ملائمةٍ معه أو ميل إليه ، إلا أنَّ دماثة خلق الشيخ الكريم وتقشُّفه وزهده في الحياة ، وعاطفته العقدية الحازَّة مما نفعني كثيراً .

بعد الرجوع من (لاهور) ، وبعد الفراغ من الحديث الشريف ، انقطعتُ كلِّياً إلى التفسير أعكِفُ على قراءةَ مصادرِه وكُتبه ، ونسيتُ أنْ أذكر أنِّي قد قرأتُ ـ أيضاً ـ بعضَ تفسيرات الإمام ابن تيمية المُوجَزة[2] ،

---

(١) أحد كبار المفسِّرين في شبه القارة الهندية ، كان يُقيم في (لاهُوْر) الواقعة اليوم في باكستان ، دَرَسَ التفسيرَ على المفسِّر المشهور الشيخ عُبَيْد الله السِّنْدي ـ الذي كان له مذهبٌ في تفسير القرآن الكريم ، كان يستنبط منه دقائق السياسة العصرية ، والمذاهب الاقتصادية ، ويتوسَّع في الاعتبار والتأويل ـ درَسَ عليه العلامةُ الندوي التفسير وحضر بعضَ الدروس من كتاب « حجَّة الله البالغة » للإمام شاه ولي الله الدّهلوي . لم أعثر على تاريخ وفاته .

(٢) وهي « تفسير سورة النور » كما ذكره العلامة الندوي نفسُه في « شخصيات وكُتب » وقد تحدَّثنا عنه في كتابنا « أبو الحسن الندوي الإمام المفكِّر الداعية المربِّي الأديب » في قسم « الكتب التي تأثَّر بها العلامةُ الندوي » اقرأه في الباب الثاني صفحة (٣٨٧) ، وهو يُطلِعك على الكتب التي لها فضلٌ كبيرٌ في تكوين شخصية العلامة الندوي .

www.abulhasanalinadwi.org

ورسائل الشيخ حميد الدين الفَرَاهي[1] ، فكان معظمُ الوقت يُنفَق في مطالعة كتب التفسير القديمة ، وكنتُ أُطالِع بنفسي غالباً ، وإذا خطر إشكالٌ حاولتُ حلَّه بالكتب الأخرى ، وقرأتُ ـ في تلك الفترة ـ « تفسيرَ الجلالين » و« تفسير البَغَوي »[2] الضخم و« معالم

---

(١) هو العلامة المفسِّر ، البحَّاثة اللُّغَويّ : الإمام حميد الدين أبو أحمد عبد الحميد الأنصاري الفَرَاهِي ، وُلد في قرية (فَرِيْهَا) مِن قُرى مديرية (أعظم كَرَهْ) عام ١٢٨٠م ، تتلمذَ في التفسير والحديث والفقه على كبار علماء عصره ، أمثال الإمام المحدِّث الفقيه الشيخ عبد الحي اللَّكْنَوِي وغيره ، وقام بتدريس تفسير القرآن وعلومه في جامعات الهند الكبرى ، وكان مُلِمّاً باللغات العديدة . وكان يعتقد أنّ القرآن مرتَّبُ بيانه ، ومنسّقةُ النظام آياتُه ، وكلُّ ما تقدَّمَ وتأخَّرَ مِن سُوَرِه وآيه بُني على الحكمة والبلاغة ورعاية مقتضى الكلام . فلو قدِّمَ ما أخِّرَ ، وأخِّرَ ما قدِّمَ لبطل النظامُ ، وفسدت بلاغةُ الكلام . وكان يرى أنَّ القرآن يفسِّر بعضَه بعضاً ، فأعرض عن القصص وما أتى به المفسِّرون من الزخارف والعجائب . هذا كان دأبه في تفسيره الذي سمَّاه « نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان » . توفِّي ـ رحمه الله ـ بمدينة (مَتْهَوْرا) عام ١٩٣٠م . وله كُتُبٌ قيمةٌ باللغة العربية مفيدةٌ جدّاً للمشتغلين والمهتمِّين بالقرآن وعلومه ، ومنها البعض مطبوعٌ في دار القلم بدمشق ، كـ « إمعان في أقسام القرآن » وغيره .

(٢) ويسمَّى بـ « لباب التأويل في معالم التنزيل » أيضاً ، وهو للمحدِّث المفسِّر الحسين بن مسعود بن محمد الفَرَّاء ، الملقَّب بمُحيي السنَّة ، المتوفَّى عام ٥١٠هـ .

www.abulhasanalinadwi.org

التنزيل »[1] و« الكشَّاف » للزَّمَخْشَري قراءةَ استيعابٍ واستقصاءٍ ، أمَّا « المدارك » للنَّسَفِي فأحفظ نِصفَه .

خِلال مطالعتي للتفسير حصَلَتْ لي تجربةٌ عجيبةٌ أنَّ كتاباً واحداً لا يستطيع أن يُقنِع كلَّ رجلٍ ويشفي غليلَه ، فإنَّ مدارك الفكر والرأي من شدَّةِ التفاوت والتناقض بمكانٍ لا يمكن معه أن يقنع رجلٌ واحدٌ الناسَ جميعاً ، فتعرضَ لغبيٍّ شبهةٌ لا تخطر للذكر ببالٍ ، فيمرُّ بها دونما التفاتٍ إليها أو وقوفٍ عندها ، ولم تنحلَّ بعضُ إشكالاتي بكتب التفسير المعروفة ، بل وجدتُ جوابَها في هامش كتابٍ ، أو تفسيرٍ غير معروفٍ ، وتفصيل ذلك يؤدِّي إلى الإطلالة ، فلا نتعرَّضُ له .

ولمَّا فوِّضَ إلى شخصي المتواضع تدريسُ « مادة التفسير » بدار العلوم لندوة العلماء ، سَنَحتْ لي فرصةُ دراسةِ التفسير بشكلٍ أكثر تعمُّقاً وتدبُّراً ، وأعظم عنايةً واهتماماً ، وقد أسْعَفني « رُوح المعاني » للآلُوسي كثيراً .

كما حصلَتْ تجربةٌ أخرى ، وهي أنَّ ما تعرَّضَ له

---

(١) هو المعروف لدى الطلاب بـ « تفسير النَّسَفي » المنسوب إلى صاحبه أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النَّسَفِي الحنفي ، المتوفى سنة ٧١٠هـ .

www.abulhasanalinadwi.org

« التفسير الكبير » للرَّازي من الاستخفاف بشأنه وازدرائه في الأوساط العلمية الجديدة ، حتى قال القائلون : « فيه كلُّ شيء إلا التفسير » ، إنَّ كل ذلك لا أساسَ له من الصحة على الإطلاق ، فهو ـ تفسير الرازي ـ أبعد ما يكون من أن ينسب إليه مثل هذا الافتراء ، وينظر إليه بهذا الازدراء ، ولا يستحق ذلك البتَّة ، والحقيقة أنَّ فيه ـ رغم الزوائد ـ كلاماً نافعاً مُمتِعاً كثيراً ، وأشياء كثيرة قيمة ـ لا توجد في عامة الكتب الأخرى .

وهناك كتبٌ تفسيريةٌ أخرى كنتُ أراجِعها أحياناً ـ في زمن التدريس ـ مثل « البحر المحيط » لأبي حيَّان وغيره ، ولكنها لم تترك أيَّ تأثير على الذهن ، وتفسير « المَنَار » للعلامة رشيد رضا جديرٌ بالاستفادة ، ويمكن أن يُستعان به بخصوص المباحث والأفكار الجديدة .

وكان تفسيرُ الأستاذ عبد الماجد الدَّرْيَابَادي[1] لم

---

(١) أحد كبار العلماء والمفسِّرين ، والأدباء النقَّاد في الهند ، كتب تفسيراً للقرآن الكريم باللغتين الإنكليزية والأردية ، وبرع في علوم الفلسفة وعلم النفس ، وكتب أبحاثاً في موضوعات شتّى فيما يتعلق بالقرآن ، قدَّمَ خدماتٍ جليلة للصحافة الإسلامية في الهند ، فقد كان بنفسه أديباً إسلامياً كبيراً ، وكاتباً معروفاً سواء في الأردية أو الإنجليزية ، وعالماً بالعلوم الدينية ، وصاحبَ نظرةٍ نافذةٍ ومعرفةٍ واسعةٍ بالأوضاع والظروف التي مرَّ بها المسلمون ـ وكان كثيرَ التعلُّق=

www.abulhasanalinadwi.org

يصدر بعدَ ، وكانت تُعَدُّ هوامشُه بالإنكليزية آنذاك ، وكنتُ أسافر ـ أحياناً ـ إلى دَرْيَابَادْ ـ وطنُ الأستاذ ـ أُراجِع الأستاذَ الدَّرْيابادي فيما يعرض لي من إشكالاتٍ تتصل بالتأريخ القديم أو الأديان والصُّحف الأخرى ، فيُزوِّدني الأستاذُ بمعلوماتٍ قيمةٍ عظيمةِ النفع ، وإنها ـ المعلومات والإفادات ـ الآن مبثوثةٌ مدوَّنةٌ في « التفسير الماجدي »[1] ، ولا شكَّ أنَّ دراستها والاطلاع عليها ينفع طالبَ القرآن الكريم غايةَ النفع ، وبالأخصِّ الذين لا يجدون وقتاً أو وسيلةً لمراجعة المصادر الأصلية .

ولمَّا احتَجْتُ ـ بعد زمن التدريس ـ إلى مراجعة « تفسير الطَّبَري » في أعمال علمية ، انكشَفَتْ لي قيمةُ هذا التفسير وقدره ، وتبيَّنْتُ أنه ـ تفسير الطبري ـ ليس مكتبةً ضخمةً للتفسير فقط ، بل للتأريخ والأدب أيضاً ، ووجودها عند رجلٍ يعتبر نعمةً عظيمةً ، فليس هناك

= وشديد الإعجاب بـ« دار العلوم ـ ندوة العلماء » والعلماء المتخرِّجين فيها ، توفّي ـ رحمه الله ـ عام ١٣٩٧هـ (١٩٧٧م) .

(١) وهو اليوم مطبوعٌ في أربع مجلَّدات ضخام باللغة الأردية والإنكليزية في المجمع العلمي الإسلامي بلكنو (الهند) ، وقد حُظِيتْ هذه الترجمة بالقبول والانتشار في الطبقات المثقفة في شبه القارة الهندية وفي البلاد الأمريكية والأوربية .

www.abulhasanalinadwi.org

مصدرٌ أوثَقَ منه ، ولا أشمَلَ للاطلاع على عادات العرب الجاهليين ، ومعتقداتهم وحياتهم الاجتماعية ، وبيئة الأحكام القرآنية وخلفيتها .

وإنَّه من التقصير والجحود والنُّكْران العظيم إذا لم نذكر كتاباً آخر ـ في التفسير ـ وإنْ لم يكن مفصَّلاً، غير أنه أنموذجٌ عظيمٌ لفهم القرآن الكريم ، وهديةٌ نادرةٌ لطلاب التفسير ، إنَّه : « ترجمة معاني القرآني الكريم » للشيخ شاه عبد القادر الدِّهْلَوي رحمه الله[1] ، التي لا يُقدِّرها حقَّ قدرها ، ولا يُدرِك قيمتَها إلا الذين درسوا التفسيرَ دراسةً مستفيضةً شاملةً وعلى مستوى عالٍ ، ويقدِّرون خطورةَ موضوع « مشكلات القرآن »، ويعرفون أنواعَ الصعوبات والعقبات التي تُواجِه المفسِّرين في تأدية بعض معاني القرآن الكريم وشرح بعض مفرداته وتفسيرها، فإذا قرؤوا ترجمةَ الشيخ عبد القادر لمعاني

---

(١) هو الشيخ الإمام الكبير عبد القادر بن شاه ولي الله الدِّهلوي ، كان عارفاً بالله ، بارعاً في العلوم الدينية ، قد انتفع بعلمه الغزير وسلوكه الرشيد ألوفٌ من الناس ، ومِن أعظم ما مَنَّ الله عليه أنه وفِّق لترجمة القرآن الكريم وتفسيره في الأردية . توفي ـ رحمه الله ـ بدهلي عام ١٢٣٠هـ . أمَّا ترجمته لمعنى القرآن إلى الأردية فهي حصيلة للتفاسير التي ألَّفها السَّلفُ الصالح ، ولم يُعْثر على ترجمة في أية لغةٍ عُرِفَتْ أكثر من هذه الترجمة استقاءً لمعاني القرآن الكريم .

www.abulhasanalinadwi.org

القرآن الكريم قدَّروا مدى براعتِه وإتقانِه ونجاحِه في المرور بهذه المشكلات والعقبات ـ الخاصة بالترجمة والتفسير ـ بسلامٍ وأمانٍ وفي يُسْرٍ وعافيةٍ ، وما حُظِيَ به من توفيقٍ في التعبير عن كلمات القرآن الكريم وترجمتها بكلماتٍ أرديةٍ ـ يبدو أنها مُلهَمة من الله ـ في غاية من الدِّقَّة والاتزان والشمول ، وأقدِّم آيةً واحدةً مثالاً لذلك قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴾ [الشعراء : ٤٤] .

إنَّ كلمة « العِزَّة » في العربية لا تُرادِف « للغلبة » فقط ، أو « للشرف » فقط ، وهاتان الكلمتان مجتمعتين ـ أيضاً ـ لا تستطيعان أن تؤدِّيا المعنى المطلوبَ هنا ، ولم يستطع الأديبُ المفسِّرُ المتمكِّنُ من الفنِّ كالزَّمَخْشَرِي أن يظفر بكلمةٍ مترادفةٍ شاملةٍ لهذه الكلمة ، ولكنَّ ترجمة الشيخ لهذه الكلمة بالأردية قد استوعبت الروحَ الأصيلةَ لهذه الكلمة ، ومثَّلَتْها تمثيلاً صحيحاً ، فترجمها بقوله :

« وه بولـ كه فرعون كـ اقبال ســـ هم هي زبر رهـ » .

وهذه هي الترجمةُ الصحيحةُ لهذه الآية، والذين اختاروا ـ من الذين جاءوا بعده ـ هذه الترجمةَ لم يختاروها إلا متابعةً للشيخ في ترجمته ، هذا مثالٌ واحدٌ من ترجمة الشيخ الدقيقة الرائعة لمعاني القرآن الكريم ، ويُوجد في تفسيره الكثيرُ من أمثال هذه الروائع والكنوز والدُّرَرِ اليتيمة .

www.abulhasanalinadwi.org

أضِيفُ إلى هذه التجارب العلمية أنَّ القرآن الكريم لا يفتح بابَ فهمه الأصيل إلا إذا خاطب الإنسانُ بهذا القرآن صاحبَ القرآن ـ جلَّ جلاله ـ بدون حجابٍ ولا ستارٍ ، وطريقُ ذلك كثرة التلاوة للقرآن الكريم والاهتمام بالنوافل ، ومجالسة عباد الله الصالحين المتذوِّقين للذَّةِ القرآن الحقيقية ، والعارفين بالحقيقة ، الذين خالَطَ الكلامُ الإلهيُّ لحمَهم ودمَهم ، وسيْطَرَ على عقولِهم وشعورهم ، وجرى حبُّهُ وتأثيرُه فيهم مجرى الروح والدم .

فالحاجة ماسَّةٌ إلى أن يتعرَّف القارىءُ على هذا الكتاب الإلٰهي تعرُّفاً مباشراً ، ويستأنس به ، ويشغف به ، ويشعر كأنه المخاطَب ـ بالذات ـ من مُنزِّل الكتاب سبحانه .

وما أخطأ الشاعر الأردي حينما قال : « لا يستطيع الرَّازيُ ولا صاحب « الكشَّاف » أن يحلاَّ العُقدةَ ، ويفكَّا المعضلةَ ما لم ينزل على قلبك ـ أنت ـ الكتابُ[1] ! » .

* * *

---

(١) دبَّجَتْ يراعةُ العلامة الندوي عدَّة مقالاتٍ في ضوء تأمُّلاته ودراساته العميقة للقرآن الكريم ، وقد جمعنا تلك المقالات في كتابٍ مستقلٍّ باسم « دراسات قرآنية » ، وقد طُبع في دار ابن كثير بدمشق في سلسلة « تراث العلامة الندوي » وهو كتابٌ مفيدٌ لجميع المشتغلين والمهتمِّين بالدراسات القرآنية .

www.abulhasanalinadwi.org

نصيحةٌ قيِّمةٌ

قد قرَأَ العلاَّمةُ الندوي التفاسيرَ الضَّخْمَةَ المتداولة والمعروفة وغير المعروفة إلاَّ أنَّه استفاد من القرآن الكريم مِن متنه أكثرَ مِن التفاسير والشُّروح ، وكان ـ رحمه الله تعالىٰ ـ يذكُرُ شيئين هامَّين لفهمِ القرآن الكريم :

١ ـ مُصَاحبة الأشخاص الذين يتحلَّون بالعلوم النبويَّة ، والذين يُمَثِّلون بأعمالهم وطريقة حياتهم عن القرآن حيث يصدق عليهم : « كان خُلُقه القرآن »[١] .

٢ ـ اتباعُ آثار الأنبياء إذ يفتح اللهُ به قلبَ المَرْءِ لفهم القرآن الكريم[٢] ويقول :

« وكلُّ ما لا يَمُتُّ بصِلَته بمصدر العلوم النبويَّة هو موضعُ شَكٍّ وارتيابٍ ، ومجرَّدُ كلامٍ للتسلية ومحبوكٌ

---

(١) أخرجه البخاري عن عائشة رضي الله عنها في « الأدب المفرد » (١/ ١١٥) برقم (٣٠٨) .

(٢) مشاهير أهل علم كي محسن كتابين : (بالأردية) للشيخ محمد عمران خَانْ الندوي ، ص(١٨٧) .

www.abulhasanalinadwi.org

بالألفاظ الساحرة ؛ لأنَّه إنَّما تحصل طُمَأْنِيْنَةُ القلبِ بالعلوم التي تنفجر من العلوم النبويَّة ، والتي بَلَّغَها إيانا رسولُ الله ﷺ ، والتي تُوجد الآن بصورة القرآن الكريم والحديث النبويِّ »[1] .

•••

(١) المرجع السابق : ص(١٨٨) .

www.abulhasanalinadwi.org

المدخل إلى الدراسات القرآنية

مبادئ تدبر القرآن والانتفاع به
أضواء على وجوه الإعجاز والعلوم القرآنية

للعلامة الإمام السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي

١٣٣٣ - ١٤٢٠هـ

دار ابن كثير
دمشق. بيروت

www.abulhasanalinadwi.org

دراسات قرآنية

للعلامة الإمام السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي

١٣٣٣ - ١٤٢٠هـ

إعداد

سيد عبد الماجد الغوري

دار ابن كثير
دمشق - بيروت

٢٨

www.abulhasanalinadwi.org